ثلاثة لا يكلمهم الله

للأستاذ محمود شلبي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم — ولهم عذاب أليم: شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر (رواه مسلم)

قال النووى : أما تخصيصه صلى الله عليه وسلم الشيخ الزانى والملك الكذاب والعائل المستكبر بالوعيد المذكور ، فقال القاضى عياض سببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه ، وعدم ضرورته إليها ، وضعف دواعيها عنده ، وإن كان لا يعذر أحد بذنب لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصى ضرورة مزعجة، ولا دواعى متعادة ، أشبه أقدامهم عليها المعاندة والإستخفاف بحق الله تعالى ، وقصد معصيته لا لحاجة غيرها .

فإن الشيخ لكمال عقله وتمام معرفته بطول ما مر عليه من الزمان وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء ، واختلال دواعيه لذلك ، عنده ما يريحه من دواعى الحلال فى هذا ويخلى سره منه فكيف بالزنا الحرام ؟ وإنما دواعى ذلك الشباب والحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشهوة ، لضعف العقل وصغر السن

وكذلك الامام لا يخشى من أحد من رعيته ولا يحتاج إلى مداهنته ومصانعته ، فإن الانسان إنما يداهن ويصانع بالكذب وشبهه من يحذره ويخشى أذاه ومعاتبته ، أو يطلب عنده بذلك منزلة أو منفعه وهو غنى عن الكذب مطلقاً .

وكذلك العائل الفقير قد عدم المال ، وإنما سبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القرناء الثروة فى الدنيا ، لكونه ظاهراً فيها وحاجات أهلها إليه ، فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر

غيره ؟ . فلم يبق فعله وفعل الشيخ الزانى والإمام الكاذب الا كضرب من الاستخفاف بحق الله تعالى والله أعلم — إنتهى .

من هم أولاء الثلاثة الهلكى ؟ هم الشيخ الزانى والملك الكذاب والفقير المستكبر ثم لماذا قطع لهم صلى الله عليه وسلم بالهلاك المبين دون سواهم ؟ .

لأنهم أحقر خلق الله وأحطهم سبيلا ، وأرذلهم أسلوبا فى الحياة.

أما اولهم فليس من شك فى انحداره والتوائه

الشيخ الزانى ؟ . رجل بلغ الشيخوخة، والشيخوخة فناء وضعف

كل مافى الانسان يضعف فى شيخوخته ، بصره، سمعه ، شهوته كلامه ، مشيه ، قدرته على العمل ، قدرته على التفكير ، وجعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، فالآية تشير إلى أن الشيبة مرتبة أخرى غير الضعف الذى يأتى بعد الشباب أن الشيبة هى آخر مايصل إليه المرء من انحطاط فى قواه العقلية والبدنية والشهوية . وليس أدل على ذلك من قوله سبحانه وتعالى « ومن نعمره ننكسه فى الخلق .. » وقوله « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين »

فالشيخوخة إنهيار فى كل شىء ليس فيها مايدعو المرء إلى المعصية

فإذا تحول شيخ رغم ماهو عليه من ضعف وانهيار إلى المعاصى ؛ فهو إنسان دنىء وضيع ؛ لأنه صادم الواقع ، ولبس غير لباسه ، وزيف حقيقته .

فإذا كانت المعصية نوعاً كبيراً من المعاصى كان ، الجرم أكبر ، والدناءة أعظم .

فكيف وهى الزنا ؟ .

وما أدراك ماالزنا !

كبيرة الكبائر . وأم الخبائث ورذيلة الرذائل . ومن هو الزانى ؟ هو عتل زنيم . استحل ماليس له . وجاء فى الأرض بفساد عريض

فإن جاء الزنى من شيخ فان فتلك هى الطامة . وانك لا تدرى مدى الجريمة فى شيخ يزنى .. إنه يفسد فى الأرض أضعاف مايفسد الشاب الزانى ذلك ان الشيخ لعدم رغبة المرأة فيه . يأتى بكل

شيء ليوقعها فى شراكه ، يبذل المال يبدل الإغراء ، يرتكب ماشاءت المرأة ايرضيها ويرديها .

فمتى تم له افتراسها جاء بما لم يأت به الشباب ليظل محبوباً عندها .

أى نفسية تلك التى استبدلت التوبة بالغضب ، والتقرب إلى الله بالبعد عنه ، والتسبيح والذكر بالغزل ومديح النساء ؟ .

إنها نفسية الشيخ الزانى !.

فهو نفس بعيدة . بعيدة عن الله . . . فكان ماقرره صلى الله عليه وسلم لها فى الآخرة جزاء وفاقا .

أما الهالك الثانى فهو الملك الكذاب .

والملك الكذاب جريمته شنعاء لأنه خشى رعيته ، وأضلها وأفسدها وأتعبها ، واستحق بذلك لعنة الله والناس أجمعين .

رجل آتاه الله ملكا وملكه من رقاب العباد ، يأمر فيطاع وينهى فيطاع ، ورغم هذا فهو غاش لأمته ، كذاب إذا قال ، كذاب إذا فعل ، فليس من شك أنه يستحق بذلك غضب الله وإعراضه عنه يوم القيامة .

ونحن لا نريد أن نكون ظالمين فى أحكامنا على الحكام ، وإنما نريد أن نزن الأمر بين الشعب والحاكم بميزان دقيق .

أما الحاكم فمطلوب منه أن يعدل بين الناس .

وأما الشعب فمطلوب منه أن يطيع الحاكم مادام عادلا ولكن هذا كله تحصيل حاصل ، وتقرير واقع ، وقول معاد . . . وإنما الأمر كل الأمر هو هذا السؤال : ماهو العدل ؟ .

يقول تعالى « إن الله يأمر بالعدل » فما هو هذا العدل ؟

هل هو التسوية بين الناس فى كل شيء ؟ .

كلا . . . فإن أقدار الناس مختلفة ، وحاجاتهم مختلفة ، وظروفهم مختلفة ، فما كان عدلا بالنسبة لأحدهم فهو ظلم لغيره .

فما هو العدل إذن ، هل من مقياس يقاس به ذلك العدل ؟ .

إنى لأنظر فى تاريخ البشرية من لدن آدم حتى يومنا هذا ، فلا أجد أثراً لذلك العدل اللهم إلا تلك

النفحات التى نعمت بها البشرية قليلا ثم لم تلبث أن أختفت سريعاً .

أما سائر تاريخ البشر فهو قصة سوداء مظلمة لا أثر فيها للعدل ولا للنور .

من أجل ذلك ينبغى أن نعلم ما هو العدل ؟

والعدل لا يمكن لمخلوق مهما أوتى من العلم والتجربة أن يحدده ، ولكن الله وحده هو الذى يستطيع أن يحدده .

ذلك أن علم الله شامل كامل ، فهو لذلك يستطيع أن يحكم بين عباده بالحق .

أما الناس فعبيد أهواءهم ، لا يعلمون أين الحق من الباطل ، ولا يستطيعون التخلص من أهوائهم عندما يحكمون على شىء . فالعدل الحقيق أن يسمى عدلا هو ما أمر الله به ، والظلم الحقيق أن يسمى ظلماً هو ما نهى الله عنه .

والحلال بين والحرام بين بعد ذلك .

فما من شىء فيه عدل إلا أمرنا الله به ، وما من شىء فيه ظلم إلا نهانا الله عنه .

بذلك تستبين المعالم ، وتتلألأ الأنوار ، ويسعد الخلق حين يحتكمون إلى ما أنزله الله إليهم .

وبغير ذلك لا تنتظر عدلا فى الأرض ، ولا تأمل سعادة فى الحياة .

ألا وإن العدل هو مفتاح السعادة للأمم والأفراد ، وإن الظلم هو طريق الشقاء لهم أجمعين

فالملك الكذاب هو الملك الذى كذب بما أنزله الله ، هو هذا الذى لم يحكم شعبه بما أنزل الله ، فأشقاهم وأضناهم ، فاستحق بذلك غضب الله وعذابه .

أما الهالك الثالث فهو الفقير المستكبر .

والكبر كما حدده النبى صلى الله عليه وسلم هو « بطر الحق وغمط الناس » .

أما بطر الحق فهو الإعراض عنه ورفضه .

وأما غمط الناس فهو تنقيصهم ووضع أقدارهم وعدم الإعتراف لهم بفضل .

وإذا اجتمع فى فقير هاتان الصفتان ، فهو هالك خاسر .

ذلك أن الفقر يدفع صاحبه إلى الإستكبار على الناس بغير الحق ، بدافع الإحساس بالحقارة والشعور بمركب النقص .

فإذا رأى غنياً عابه ، واذا رأى فقيراً أحتقره ، وإذا رأى محسناً اتهمه بالرياء ، وإذا رأى مؤمناً رماه بالنفاق .

لايرى خيراً فى أحد ، ولا يتصور احداً فى خير

وهو يضمر بذلك العداء للمجتمع ، فهو عنصر هدام لا بناء .

ولا يستطيع الفقير التخلص من هذا ، إلا بالإيمان بالله ، واداء ماافترض الله عليه

لأن الفقير إذا آمن ، علم أن كل شيء بقدر ، وأن الأرزاق بقدر ، وأن الغنى والفقر بلاء يبتلى الله به عباده ، لا يدلان على رضاه أو على غضبه ، وأن الله يأمره بالعمل ، وينهاه عن تحقير الخلق ، وأن لكل إنسان مزيه ونقصاً ، فليس كل الفقراء سيئين وليس كل الأغنياء سيئين .

وهكذا تتحول نفسه من الشر إلى الخير ، ومن السخط إلى الرضى ، ومن الهدم إلى البناء .

أما إذا حيل بين الفقير وبين الإيمان ، فهو كما قال صلى الله عليه وسلم « عائل مستكبر » ، ضائع هالك لا خير فيه ولا إنتاج له إلا السخط والشر .

محمود شلبي

كلمات فى التصوف

للإمام الغزالى

* التصوف طرح النفس فى العبودية . وتعلق القلب بالربوبيه . * أصول التصوف . أكل الحلال والاقتداء برسول الله ﷺ فى أخلاقه وأفعاله وأوامره ، وسننه ومن لم يحفظ القرآن ؟ ويكتب الحديث لايقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا مضبوط بالكتاب والسنة

* أخذ هذا المذهب بالورع والتقوى لا بالدعاوى .